أوراق .. بلون الورد

بقلم

مصطفى يحيى

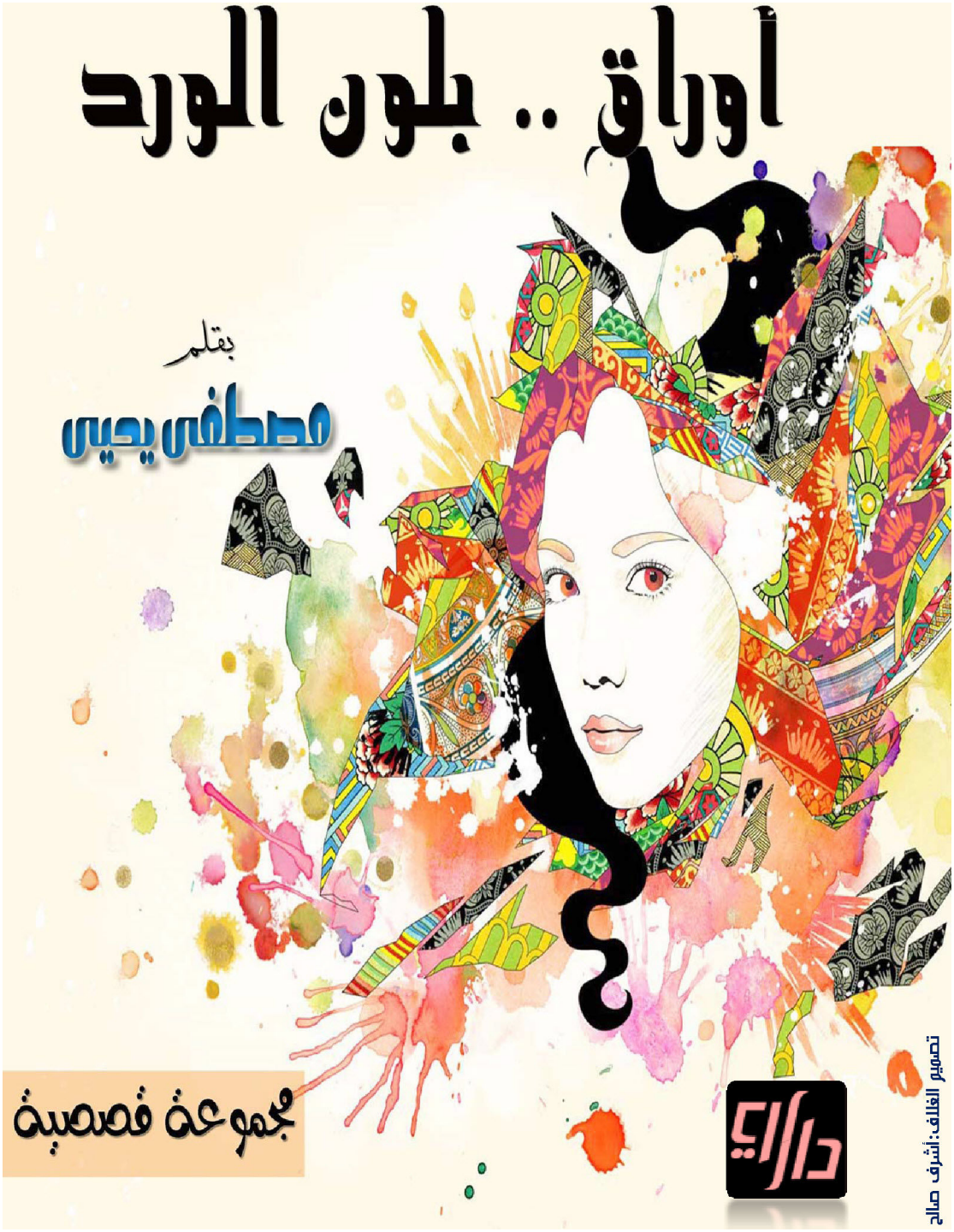

مجموعة قصصية

دار أي

تصميم الغلاف: أشرف صالح

إهداء

إلى: أدهم صبري

إلى: رفعت إسماعيل

إلى: جين إير

مصطفى يحيى ،

مقدمة المجموعة

لا أعرف ما الذي يمكن أن تجده هنا !
هذا يتوقف عليك أنت ، وعلى ما تتوقعه . ولا يتوقف علىّ
يتوقف على ما تنتظره من قراءتك لي، هل تبحث عن نفسك ؟ هل تنتظر أن تجد شـــيئًا من أحلامك مسطورُ بانسيابية ؟
هل تنتظر شيئًا جديدًا يخرجك من عالمك الذي تحتاج أن تخرج منه أحيانًا وتنسلت عن نفسك ؟
هل تبحث عن فرص أخرى لحياة جديدة لم تستطع أن تصل إليها بمفردك؟
هل تبحث عن الآلام لتحزن ؟ أم لتغيرها كما يوصي تشيكوف ؟
عن نفسي أنا أقرأ لأبحث عن أحلامي في عيون الآخرين ، وحينما لم أجدها ، فكـــرتُ في كتابتها .
لكن حتى في كتابتي لها لم أستطع أن أغمض عينيّ تمامًا وأمضي ، كان دائمًـــا ذلـــك الشبح الكئيب يقفو طريقي ، ويظهر لي عند أقصى منحنيات الخيال . فأسقط في براثنه.

فهرس المجموعة

01 - هجـوم ليليّ 5
02 - رفيقةُ الغـراب 15
03 - تحب تفرقع فـ مين 17
04 - العيدية 20
05 - أنت لـــي 22
06 - خالـد ، وعلياء 25
07 - نيسان الحزين 27
08 - ازدواج 30
09 - الأنفلونزا العصرية .. في الحياة المصرية 33
10 - جنـــون 43
11 - عود 46
12 - الساحرة 48
13 - أوراقٌ بلون الورد 50
14 - محاولة عبور 52
15 - كتالوج 55

ـ (1) ـ

هجـــوم ليلـيّ

ينتصفُ الليلُ ، وينتصف القمرُ معه

وتنتهي أحلامٌ عاشت يومًا ما بصدرك ، قبل أن تولي هاربةً ، وتسكن تهاويم خططتها يومًا ما في دفاترك .

ينتصِّفُ الليل ..

وينتهي ضياءُ الكون ، بينما النجوم في السماءِ ، تحكي لنا عن العالم ناصع البياض ، الذي تخبئه وراءها ، ولن تريه لنا أبدًا ، وسط هذا الظلام ..

الظلام و لسعة البرد الخفيفة ، وشلالات الهواء التي تضرب خدك وأذنك .

الظلام البكر ، الذي تخترقه أضواء الميكروباص المتلاشية ، لتضيء الطريق الإسفلتي ، قبل أن يعود العالم مثلما كان..

من لحظةٍ لأخرى ، ينظر لك السائق في فخرٍ و إعزاز :

ـ وسيادتك ظابط احتياط ولاّ عامل ؟

يضرب السؤال أذنيك ، مع أمواج الهواء ، فتتجاهله ، وأنت تتابع السحب التي خبأت القمر ، فيظلم الطريق أمامك.

يبتسم السائق ، ثم يحرك الفتيس كي يزيد السرعة ، و يلمس كوعك كي تنتبه له :

ـ " سيادتك بقي ، ظابط احتياط ولا عامل ؟"

تنظر له مضطرًا ، تجبر نفسك علي الابتسام ، ثم تجيب إجابتك المعتادة ، عن السؤال الذي سمعته ألف مرّة

"ليه ؟"

وكأنما كان ينتظر استجابتك تلك ، لينطلق في حديثٍ طويل عن الجيش وذكرياته ، في الجيش ، ثم عذابه مع (أم العيال) الذي فاق عذاب الجيش وأهواله ، و... و ....

تستمع له بنصف أذن ، و تنظر له بنصف عين ، وترد بـ (إممممممم) ، التي جعلت قائد اللواء ، يثور في وجهك ذات يوم ، حينما كان لا يسمع منك ردًا سواها.

هذا السائق يبحث عن تسلية لطريقه ، كي لا يعلو غطيطه ، مع غطيط القتلى خلفنا في السيارة .

تنظر حولك بينما السيارة تخترق حُجب المجهول ، إلى الصحراء الواسعة المترامية ، ذات اليمين وذات الشمال ، ومصباحا السيارة يلقيا أضواءهما على اللافتات في الفاصل بين الطريق الذاهب والآيب ، فيومض اسمٌ من أسماء الله الحسني للحظة ثم يختفي .

طريق (مصر - السويس) ، حيث آلاف الكوارث التي تحدث عبره منذ فجر التاريخ ، فكان التأمين الذي وضعوه ، هو لافتات تحمل أسماء الله الحُسني ، تيمنًا بها ، وتواكلاً علي الله.

ـ "نجيب محفوظ ، هو الوحيد اللي عرّانا ، هو الوحيد اللي اتكلم عن الراجل النص كم ، في وقت كان عندنا مبادئ وتقاليد"

يااااه ، كيف انتقل من الجيش إلي نجيب محفوظ ؟ تنظر له في استغراب ، وتقول له في تصديق :

ـ "تمـاااام ، منه لله بقى"

تنظر للطريق عن يمينك ، ثمة كلاب تلحظ نور السيارة ، فتنبح من مكانها ، وهي تتخذ من التباب الرملية ساتر ، والسائق يقول :

ـ "كنّا بس فالحين قبل كده ، نشجب وندين ، ونعارض ، ونجتمع في قمم ، ونطلع نقول (لأة) ، وإحنا كشعب ماكانشي عاجبنا ، أهو دلوقتي حتى مش لاقيين كلمة (لأة) دي ، ولا عارفين نقولها"

تبًا هذا الرجل له قدرة بارعة ، في القفز عبر الموضوعات ، تتركه ،وتعود للطريق ، حيث صمتت الكلاب تمامًا علي جانبيه ، واستكانت خلف التباب الرملية ، وتركت السيارة تمر في سلام

مـا أروع الليـــل !

الهواء الثائر ، ضد اختراق السيارة له بهذه السرعة ، والقمر المسافر مع المسافرين ، كأنما يقول لهم في أبوة ، أنا معكم يا صغار ، لن أترككم

الموجودات ثابتة علي الطريق كأنما لايعنيها ، نهارٌ أو ليل وأنت داخل كل هذا ، تجري فوق إطارات من الكاوتش

تنظر في قلق إلي الخارج ، إلي الصحراء المترامية عن يمينك ، بينما تجلس أنت مستمتعًا بالدفء والراحة

فجأة تجد صوت " نجـاة " القادم من عند الملائكة ، يرافقك الطريق ، تنظر حولك ، تحاول أن تعيد الشريط المختزن في رأسك ، وتنتبه ، لقد ركلت يد السائق مفتاح التشغيل ، وهو يبدِّل غيار إلي الخامس ، لتنطلق السيارة كالسهم

ترك " نـجاة " تحنو علي روحك ، بينما لا يكف هو عن الضغط عليك ، كما يضغط علي دواسة البنزين

تعود إلي الطريق ، وتلحظ اللافتة القادمة ، التي تحمل أسم الله التالي ، وتقول للسائق :

ـ "علي جنب هنا إن شاء الله"

ينظر لك في ذهـول ، وهو يضغط دواسة الفرامل ، ويرجع بوضع الفتيس :

ـ "هتنزل فين يا باشـا ؟؟"

تقول له وأنت تشير بإصبعك :

ـ "هنـا"

يعود فينظر حوله إلي جانبي الطريق ، يترك عجلة القيادة ، ويتساءل بكفيه :

ـ "فين يا باشا ، مافيش حاجة هنا ، لا وِحْدة ، ولا كتيبة ، ولا أي حاجة ، دي صحرا ، صحرا يا باشا ، هتنزل ف الصحرا ؟"

تقف السيارة ، فتنزل ، وتنقده أجره ، فيبتسم لك ، ويسأل :

ـ "ماقولتليش ياباشا ، سيادتك ضابط احتياط ولا عامل ؟"

تغلق الباب ، وتلوح له ، بينما صوت(نجاة) العذب ، يبتعد ، يبتعد ، شاديًا :

أنت تقول وتمشي ،

وأنا اسهر ما انمشي

يا اللي مابتسهرشي

ليلة يا حبيبي

من الهمجي الذي يترك هذا الملاك ، يسهر ، ويغط هو كالخرتيت ؟

وتستدير مواجهًا الصحراء المظلمة ، ظلام الرحم الذي جاء البشر منه يومًا ما ،

وبشكلٍ ما لا تشعر بالخوف الذي كان يصحبك في السيارة

تتقدم في الظلام ببطء ، ، منتظرًا خروج القمر من خلف السحُب ، تنقل حقيبتك الصغيرة الممتلئة إلي كفّك الأخرى ، مع الكيس الأسود الصغير الذي تحمل فيه علبتي المبيد الحشري ، لمحاربة الحشرات مجهولة الهوية هناك

وتنبح الكلاب فتزعق لها في صرامة :

شششششششششششش ،

بصوت طويل أولا ، فيزداد النباح ، تعيد الـ شششششت بصوت قاطع سريع فتصمت تمامًا

و عندما يخرج القمر من خلف السحب، تراها تركض مبتعدة

تلحظ اللافتة المهترئة ، تقول (الجفّرا) ، وسهم معها يشير للصحراء ، أحيانًا ينطقونها (الكافرة)المنطقة التي يعِّلمونها أنها بعد اسم الله (الجبّار) وأنت ذاهب إلي السويس ، وبعد اسم الله (المانع) وأنت ذاهب إلي القاهرة

المنطقة بين (الجبّار) و (المانع) كيف تكون ؟

تتفادى الصفائح المهترئة، والمعلبات الصدئة ، و التباب العالية ، في طريقك إلي نقطة مضيئة ، علي بُعد خمس كيلومترات وسط الصحراء تلتقط بيدك الفارغة، عصا ملقاة في إهمال ، الكلاب ليست دومًا وديعة

تنظر في ثبات إلي النقطة المضيئة ، وتسير حتى لا تضل الطريق ، وتتذكر خمسة كيلومترات ، في السابق كنت تخترق مسافة ، تسعة ، كيلوات في نصف الساعة

كنت تقف في بداية طابور الضاحية ، منتظرًا انتهاء العد ، بعدها تنسي من أنت؟ ، ومن تكون ؟ ، وماذا تفعل ؟ ويتحول كيانك كله إلي آلة للركض ، هدفها تبديل القدمين أسرع ، و فتح البرجل أكثر ، بعد نصف الساعة ، ترتمي فوق الرمال ، غارقًا في العرق

يصفع الهواء وجهك ، فتنتبه لما حولك ، القمر اختفى من جديد خلف السحب ، تضم سترتك حول عنقك ، وتتشبث أكثر بحقيبتك ، تخرج المحمول من جيبك ، تضغط علي مفتاح الـ (سي) كي ينير الكشّاف فيه طريقك

هذه المسافة تحتاج منك إلي خمسة عشر دقيقة تتحول فيها إلي آلة الركض

لكن أين الطاقة ؟

يداعب النسيم الرقيق، وجهك ، فتتذكر الفراش علي الفور

،آآآآآآة ، لكم أنت عزيز أيها الفراش ؟

النوم يهاجم عينيك ، فتعجز عن فتحهما أكثر ، إنه اليوم الثالث ، ولم تنم بما يكفي ، لحظات تختطفها في الحافلة ، أو انتظار دورك في طابور ما ، ، تغمض عينيك ، وتكمل سيرك ، في ذات الاتجاه ، وببطء تهدأ خطوتك ، وتقصر خطوتك و .....

أووووووووووووووو

هه ؟

تفتح عينيك ، وتنظر حولك ، المباني المتهدمة ، بقايا معسكر كان يومًا ما هنا ، لكن من أين ....

أووووووووووو

..... يأتي هذا الصوت ؟

أنت تعرف هذا الصوت جيدًا

أووووووووووووووووو

عويل الذئاب

الذي كان ينطلق كثيرًا جدا وقت الفجر ، الصوت الذي كنت تستيقظ عليه لتصلي

أووووووووووو

تلتفت حولك أكثر ، الصوت يقترب ، ينتفض شعر عنقك ، ويزحف الجليد علي ظهرك ، ترفع العصا الواهية ، وبيدك الأخرى ، تترك حقيبتك تقع علي الأرض ، وتستعد بعصاك ممسكها بكلتا يديك ، تلمح العيون الحمراء الوحشية علي بعد أمتار قليلة ، ترتجف في صمت

لم تتصور إطلاقًا أن نهايتك ستكون بين فكي ذئب جبلي متوحش

ويظهر القمر من بين السحب الغائمة ، فتلمع العيون البرية ، وتلمع في رأسك الفكرة

منذ الأبد ، وأنت تحمل هوس حمل مصادر النور والنار ، تخرج القداحة الفضية من جيب سترتك ، وتتلمس بأصابعك الأخرى الكيس البلاستيكي ، بينما يقترب منك ما يقرب من سبعة ذئاب من

مختلف الأحجام ، يتقدمهم وحش ثائر منكوش الفرو ، وينظر للعصا بين يدك ، بينما اليد الأخرى تلتقط إحدى زجاجات المبيد الحشري ..

شلاااك

يخرج النار من طرف القداحة

بينما أنت تمضغ بأسنانك برشامة العلبة ، و .....

بفوروووووووووووو

تنطلق النيران مع ملامسة ، النار للرذاذ الثوري من فوهة المبيد

تتوقف الذئاب ، في ترقب ، تتراجع مع توجيهك النيران لها ، تخرج العلبة الأخرى

كراشيك

تكسر البرشامة وتقربها للنيران الثائرة

بفروووووووووووو

الشعلتين المتقدتين ، تهاجم الذئاب السبعة ، وقد تحولتَ إلي مجنون يطارد الذئاب ، ، تبتعد ، تركض مبتعدة ، بينما أنت لازلت تطاردها بجنون

تتوقف

تهدأ حركتك

تعود إلي حقيبتك ، تنظر إلي المباني المتهدمة ، وبعينك الخبيرة التي اعتادت هذه المباني ، تلتقط مبنىً منهم ، تدخله ، تدور بكشاف المحمول في سقفه ، الذي يعلو ثلاثة أمتارٍ ونصف

تخرج منه حاملا لوحًا من الخشب ، تقذف بحقيبتك فوق سطح المبني ، وتسند لوح الخشب إلي الجدار ، وتبدأ في تسلقه

نعم ، ستقضي ليلتك هنا

تنظر فوق سطح المبني ، قطع الحديد الملقاة في إهمال ، بعض حزم الأسلاك الشائكة ، والبراميل الصدئة

عووووووووووووه

هه ؟

لقد عادت الذئاب

تنظر من فوق سطح المبني ، العيون الحمراء تدور حول المبني ، تحاول تسلقه ، لكن الجدار شبه أملس ، أنت لم تعد أحمق لهذه الدرجة

تحاول أن تتجاهلها ، وأنت تتجه إلي أحد جوانب السور ، تركلها بقدمك لتتأكد من قوتها ، ثم تثبت أمامها برميلا ، تجمع الأسلاك الشائكة حول السور ، صانعا دائرة صغيرة ، تركن جسدك المكدود .....

أووووووه

..... داخل الأسلاك ، الذي أحطت نفسك بها ، يستند إلي البرميل

تنظر إلي شاشة المحمول ، التي تعلن ساعتها الثانية صباحًا ، تضبط المنبه الساعة السابعة ، يجب أن تكون في المعسكر الساعة الثامنة و....

"سيادتك ضابط احتياط ولا عامل "

يهاجمك السؤال من جديد ، فتنظر خلفك إلي نقطة مبهمة وتقول

أووووووووه

"احتياط ، يا اسطي ، احتياااااط"

وتلحظ النجمتين علي كتفك ، فتنظر لهما وتطلق زفيرك في صمت

ضابط احتياط ... هه !

أنت لست ضابط ، أنت لست فرد مدني ، أنت شيءٌ ما هجين بين الاثنين ... شيءٌ ما

من أنت ... ؟ ما أنت ؟

تقول والدتك محاوله أن تبدو مقنعة :

"جدد يا بني ... مافيش شغل بره"

يقول لك صديقك ، الذي لم يدخل الجيش :

"جدد يا درش ، الدنيا بره وحشة قوي"

يقول السائق في خطورة :

" لو احتياط جدد يا باشا ، برّة بهدله ،اسألني أنا "

ثم يكمل محاولا أن يبدو ظريفًا :

" ولو " عامل " بقي "

يترك عجلة القيادة ، ويمد يده لك مستجديًا

" يبقي لله يا بيه ، ينوبك ثواب فيا "

ويرفع عقيرته بالضحك

تقول لك المرأة البدينة في لهفة حين تركب بجوارها الميكروباص

" عايزة أدخل ابني ضابط احتياط ، أعمل أية ؟"

جـدد

ينظر لك الفتي المراهق ، جوارك في الحافلة ، ويسأل

" عايزة أبقي زيك ، أعمل أية ؟ "

جــدد

لماذا تخرج من الجحيم ؟؟

جـدد

ادفن رأسك في الرمال ، ودع العالم السيئ بالخارج يعوي ، ويلتف حولك ، لينهشك

جدد

لماذا تواجه الحياة ، وتبدأ في صياغة أحلامك التي خططت لها طوال عمرك ؟

جدد

ستخرج ، لست حديث التخرج ، ولا تملك خبرة في مجالك

جدد

ستخرج شيءٌ ما ، كما ظللت دوما ، شيئًا ما

جدد

لماذا لا يطلبون من النجوم أن تنزل كي تحل مشاكلنا ، أو تأخذنا معها للعالم ناصع البياض الذي تخفيه عنّا ؟

لماذا يقف القمر بعيدًا ، ويتابعنا بابتسامته الحزينة التي انحفرت علي وجهه المضيء ؟

لماذا تجلس وحدك في الصحراء ، في الظلام ، فوق سطح مبني متهدم كان يومًا ما معسكرًا للجيش ، بينما تحوم الذئاب حولك بأسفل ؟

لماذا .....؟

خخخخخخخخخخخخ

●●●

حرس سلاااااااااااااح ، ، ،

هه ؟

تقفز مفزوعا

هذه ألعن كلمه يمكن أن تستيقظ عليها

ثمة من يتسلل لمنطقة عسكرية قريبة ، تنظر تجاه الصوت ، ثمة معسكر آخر هناك ، كيف نسيته ؟

تلحظ رجلان يركضان ، وخلفهما مجموعه من الجنود ، يسقطونهما ، ويحملونهما إلي داخل المعسكر كجوالين

كم الساعة الآن ؟

تنظر للمحمول ، شاشته بيضاء ، لقد انتهي شحن البطارية ، ربما لأنك تركت الكشاف يعمل طوال الليل ، تنظر لساعة يدك

رباااه

إنها الثامنة إلا الثلث

تلتقط حقيبتك ، تبحث عن عويناتك ، تنظر حول المبني ، ، أخيرا .. لقد رحلت الذئاب

تتعلق بسور المبني ، تقفز ، وتتحول إلي آلة الركض التي لم تعمل ليلاً

المعسكر يقترب رويدًا ... رويدًا

المباني الصغيرة الضئيلة ، البعيدة ، تكبر رويدًا ، وتتضح معالمها المبهمة أمام عويناتك المترجرجة كالمرجوحة

تصل إلي أطراف المعسكر ، فيقف فردي الخدمة ، يؤديان التحية العسكرية

تلقي لأحدهما حقيبتك ، صارخًـا

" ودي دي المبيت عندي يا كـامل "

وتواصل الركض

لقد اجتمع الطابور ، وأحدهما يستعد لإعطاء التمام ، تتحول من الركض ، إلي الهرولة ، فالمشي ، وتقترب بهدوء من الطابور

يراك قائد المعسكر ، فيسألك في عتاب

" الحمد لله انك جيت ، الحق خد التمام " -

تلبس القناع الميري ، تجمد ملامحك ، وتتصلب نظرتـك ، تتقـدم ناحيـة الطـابور ، تتسـلمه ، ثـم تهتف في الجنود آمرًا

ـ " معسكاااااار صفا "

هن

ـ " صباح الخير يا حضرات " .

ـ (2) ـ

رفيقةُ الغـراب

من جديدٍ نعق الغرابُ بالقربِ منه ، نظر إليه بغضبٍ مكبوت ، هذا اللعين لن يخرس أبدًا .
عاد إلى تليفونهِ المحمول ، يتطلع إلى شاشتهِ الصامتة أبدًا ، التي تُعلن قُرْبَ انتهاء شحن البطارية ، وضعف قوة الشبكة كذلك .
عاد يتابع تصايح الصبية و ضجيجهم في الحديقة حوله ، و يتابع عناق العشاق وراء حوض الأزهار ، نظر إلى الكتابِ بين يديهِ الذي لا يتركه أبدًا ، فكّر أن يقرأ بعض الوقت ، لكنهُ عدل عن ذلك ، وعاد إلى تليفونه المحمول .
راح يعطي رنات إلى بعض أصدقائه ، و يؤرجح قدميه في جلسته .. وتوقف مرة أخرى حين نعق الغراب مجددًا ، و قفز مفزوعًا حين وجده بالقرب منه.. راح يتطلع باندهاش إلى مظهره وهو يشعر بانقباضةٍ في صدره .. الآن عرف لماذا يتشاءم منه الجميع . !!
لوّح له بقدمهِ ، فلم يتحرك ، التقط حجرًا من الأرض و قبل أن يرميه كان الغراب فوق الشجرة ، هناك حيث يجتمع دائمًا مع رفاقه المنبوذين .
عاد إلي هاتفهِ ، كان يستقبل رسالة صوتية مسجلة : ـ
ـ" الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة ، من فضلك ، أعد المحاولة في وقتٍ لاحـــق " ـ
توقف لحظات ، و ابتسم في سره ، هذه الفتاة جميلةُ الصوتِ حقًا .. لم يغلق الهاتف ، وراح يكمل الاستماع إلى الرسالة الآلية :

(the mobile you have called is not available at a moment, Please, try again later)

صوتُها بالغ الأنوثة و الإثارة .. و تكرر النداء :
ـ" الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا ، أو خارج نطاق الخدمة ، من فضلك ، أعد المحاولة في وقتٍ لاحق "

أجمل ما فيه حين تقول بكل رقة ودلال : -

-" من فضلك ، أعد المحاولة في وقتٍ لاحق " .

عادت الرسالة الإنجليزية .. لكنه انتظر حتى يستمع لمقطعة المثير ، و ...

للأسف ، انتهت الرسالة و انطلق صوت سارينةٍ مزعج قبل أن يُغلَق الخط آليًا وعاد نعيق الغراب بالقرب منه من جديد .

وبكل غضب .. ألقى الحجر - الذي لازال في يده - بكل قوته تجاه الغراب .. ففر مبتعدًا فوق مصباح إضاءة بجوار غراب أخر .

فكر في طلب نمرة صديقه مجددًا .. و انتظر .. لكنه سمع الرنين الرتيب ينطلق ، السخيف أعاد هاتفه للعمل .

هنا جاءته فكرة مذهلة .. راح يطلب بعض الأرقام الخاصة للخدمات الآلية .

ثمانية صفر ثمانية

ثمانية ثمانية ثمانية

ثمانية خمسة ثمانية

ثمانية ستة ثمانية

ثمانية أربعة ثمانية

الفتيات هناك لا يذكر أصواتهن .. لكنهن حتمًا نفس الفتاة .. الشركة لن تستعين بمليون فتاة للرد علي الرسائل الآلية !

للأسف ، أصواتهن مختلفة ..أصواتهن جميلة .. لكن واحدة منهن لم تقل شيئًا من المقطع المثير .

قام ساخطًا من جلسته ، لكنه لمح شيئًا أسودْ يطير ناحيته .. جفل لحظة .. ورمى بالكتابِ تجاهه .. وحين أدرك الموجودات حوله فهم ما حدث .

التقط الكتاب من الأرض .. و استمر في طريقه ..حاول الاتصال بصديق آخر .. لكنه وجد هاتفه مشغولاً .

الحمقى ، متى يغلقون هواتفهم اللعينة ؟ .

-(3)-

تحب تفرقع فـ مين ؟

" أنا أديـب محترم ، يا شوية صيّع "

يقول (رضـا)، في استلهـام :

- " يا بني البلـد مش بتاعـة الأدبـاء "

يعتدل في جلستِهِ ، ينظر للسحب الوردية عبر زجاج الفندق الخلفي ، ويتابع في هيـام :

- " البلـد دي بتاعة 5 بني آدمين"

يفرد أصابعه ، ويعد بسبابتِه وإبهامِهِ المحتضنان سيجارته :

- " السفـله ، الحرامية ، الراقّصّات ، ماسحي الجوخ ، و ..... "

يقوم من مجلسه فجأة ، يحمَّر وجهه كثمرة الطماطم ، يضع أصابعه وسيجارته في وجه (عمرو) صارخًا :

- " أنت مش عارف بتكلم مين يا بن الكلب ..؟"

ينفجر (ماجد) ضحكًا ، وهو يُقبِّل زجاجته مستمتعًا : ـ

- " يا عم سيبه يحلم شوية ، من الجميل أن تعيش في (ميّة المخلل)..!"

يواصل (رضا) بعد أن عاد لمجلسِهِ:

- "يا (درش) ، خليك معانا بقي ، هنا علي الأرض ، يا بني أنا حاسس لو خلعت القميص بتاعك ده ، حنلاقي الجناحين الخُضر اللي جيت بيهم م المريخ "

ثم يواصل في سخرية مستمتعًا :

- " أنت مين يا ض ؟ ، الواد ده فضائي دخيل ! "

ويضحك (ماجد) شاهرًا سيفًا وهميًا في وجهي :

- " أذهب إلي كوكبك أيها الفضائي اللعين "

أقول في كبرياء رافعًا أنفي ، قائمًا من مجلسي :

" - أنا اللي غلطان أني قاعد معاكم يا شوية مقاطيع ، هش يا ض أنت وهو من هنا" .

يمسك (عمرو) يدي ، ويشدني إليهم مرة أخري :

- " يا عم سيبك م العالم الرمة دي ، خليك معايا أنا !"

يضع يده علي كتفي متوددًا :

- " دي عالم جهلة ، ماتفهمش ف الفن ، وأنت فنان يا ديشة " .

يضحك ماجد مِلأ شدقيه :

- " يا عم اسكت أحسن يصدقك ، ده بيصدق بسرعة"

يزجره (عمرو) وينظر له نظرة من طراز (يا - أحمق - انتظر) :

- " بس ياض يا فاشل أنت "

ويشير لي متفاخرًا :

-" ده عقله يوزن بلد ".

أنظر له ، أنا أتوقع ما سيقوله هذا الثعلب :

- " يا حبيبي ، أنا عايزك تنسي الأدب ده لحظة .. لحظة واحدة بس..."

وبسرعة يُخرج أوراق (كوتشينة) من جيبه الخلفي ، ويلقيها علي المائدة:

- " وتلاعبني سيتيميشن ".

يحاول(رضا) أن يكتم ضحكته ، أما (ماجد) فيقع علي قفاه بالكرسي ، وقد أصابه الفالج من الضحك .

أنهض في هدوء ، وأقول :

"عمورة يا حبيبي ، أنت النوع الأول م البني آدمين اللي ممكن يعيشوا ف البلد دي"..

أتركهم وأهيم علي وجهي في الشوارع ، ضجيج السيارات و أبواقُها لا يمنع عني صوت (عبد الوهاب) الذي يصرخ في أذني :

جئتُ لا أعرف من أين ، ولكني أتيتُ

ولقد أبصرت أمامي طريقًا، فمشيتُ

وسأبقي ماشيًا، إن شئتُ هذا أم أبيتُ

هي نقصاك يا كروان ؟ !

أعبرُ الشارع ، أجلس علي الكورنيش ، فيطالعني وجة الجنرال الروسي (مولوتوف) علي صفحة الماء المتموج، وهو يداعب إحدى قنابله ، يلقيها عاليا و يلتقطها ،يلقيها عاليا ، و يلتقطها ،يلقيها عاليا و ...

- " إية يا باشا ، تحب تفرقع فـ مين ؟ "

أقول له في غِل :

"أحب افرقع X البلد دي!" ـ

يبتسم ، وهو يلقي زجاجته في وجهي :

- " والبلد دي تحب تفرقع فيك!!! ".

-(4)-

العيدية

صاحت به فجـأة .

"تعــال يا صغيري ..!"

نظر لها مليًا .. ومن عينيها التي تحتضناه فهم كل شيء .. ترك باقي الأطفال يكملون لعـب الكرة ، وأعين بعضهم تتابع انسحابه قبل أن يعودوا لركل الكرة من جديد .

ذهب بملابسه البسيطة ورائها ، تبعها إلي الغرفة المظلمة الفارغة .. وفوق الفراش الوحيد الصغير ، جلس ينتظر أمه التي ولّته ظهرها تخرج شيئًا من تحت الوسادة المهلهلة ، خبأته خلف ظهرها .

صوت آذان المغرب يجلجل في المسجد البعيد .. وصوت صياح الأطفال بالخارج يتراشق مع صـوت أمه الهامس :

"خمن. ماذا خبأت لك ؟ "

يبتسم وجهه الصغير ، تعلو عيناه نظرة ترقب متلهف ، ترتفـع سبابته لتحتـل مكانهـا الـدائم بـين سنتيه الصغيرتين :

" لا أعرف.. ماذا ؟ "

تلتف يدها لتقدم له علبة صغيرة مزركشة ملتفة بكيسٍ أبيضْ .

يختلط الانبهار بالفرحة في وجهه البريء ، إذ يقبض علي علبته وبين أصابعه الصـغيرة الـتي تُجيـد عملها تفتح خيوط العلبة .. يضحك .. ينظر لأمه .. وتحتضنها يداه الصغيرتان :

" متى أحضرتيها ؟"

" أمس.. حين خرجت مع بابا .. "

تخرج أصابعه بعض القطع .. وينظر لها في عتاب :

" ولم تخبراني ؟؟"

تلثم خده - الذي تحول إلي كرة صغيرة - وهي تحتضن وجهه الصغير بكفيها :

"اليوم الوقفة ... وغدًا العيد"

يتوقف عن المضغ لحظة :

" وهنـــد ؟! "

تمسح بيدها علي رأسه :

" معي ثلاث علب أخري . واحدةٌ أخرى لك .. واثنتان لأختك .. إنها لم تأت من عند خالتك بعد ! "

يزدرد ما بفيه ، وهو يجنِّب جزءًا من القطع داخل العلبة "

" هذا الجزء لأبي.. احتفظي به له "

وتمتد يده الصغيرة بالباقي إلي فم أمه :

" وهذا لكِ "

تمسك كفه الصغيرة ، وتحولها إلي فمه :

" دعك مني . أنا أكلت كثيرًا .. هذا نصيبك "

يتوقف صوت الصلاة .. وتبدأ أدعية ليلة العيد في الترنم الجميل ..

" أنتي لم تأكلي شيئًا .. أعرف هذا .. "

ويمضغ القطع هامسًا في إصرار :

" سنأكل من العلبة الثانية معًا "

تحتضنه .. وتقبله ..

وحين يعود إلي لعب الكره .. ينظر لأمه التي تتابعه من فرجةٍ في النافذة هناك ...

ويبتسم.

-(5)-

أنت لـــــي

لم يكن من الممكن أن نتقابل

طلبتُ منها أن تعدل عن فكرتها هذه لأنى مشغول فرفضت

طلبت منها أن تنهى علاقتنا الميبوس منها ..فبكت .

بالله كيف نتقابل .؟؟!

- " أفعل شيئًا ألست الرجل ؟ " .

كذا جاءني هاتفُها .. فرحت أفعل شيئًا ..

وقفتُ أمام المرآة .. وتساءلت :

- " أنا نفسي لا أراني .. فكيف تراني هي ..؟؟".

حقًا أنها لمشكلة ..

حين تكون مطالبًا بالتواجد في مكانين في نفس اللحظة .. فلابد من معجزةٍ مـا .

(أطلب معونـة هندي عجوز)

عاد هاتفها الساخر يرن فى أذني ، من جديد ، سحقًا لكِ .. اخرسي الآن .

" - زمن المعجزات انتهى .." كذا قلتُ لنفسي " لا بد من الحيلة ، وأنا ذئبٌ يعرف الخداع كأبنائِه" .

جلستُ أمام الكمبيوتر المغلق .. ورحتُ أنفث سحب الدخَّـان الأبيض في شراهة .

-" أممممممم .. لا بد من خدعـه ".

قمـتُ من مجلسي .. أحضرتُ وريقة ، مزقتُها نصفين .. كتبتُ على النصف الأول (أنـــا) وعلى النصف الأخر كانت (هي) .

عدتُ للنصف الأول " عايزة أيه .؟" وعلى النصف الثاني أجابت (أشوفك ..!!) رجعت للنصف الأول .. " ليـه .؟؟! " والنصف الثاني (أعرفك أكثر)

النصف الأول : - "وأنتي مين .؟"

النصف الثـانى : - (ما أنت عارفنى أكتر منى !)

النصف الأول : - (فى يأس) ليه ما تموتيش ..؟؟

النصف الثـانى : - (فى ضجر ..أستهتار)اقتلني مستني أيه .؟؟

النصف الأول : - أبعدى عنى ..

النصف الثـانى : - وأنت حتروح فين .؟

النصف الأول : - أنتي فيكى هلاكى

النصف الثـانى : - وأنت فيك حياتى

النصف الأول : - ما أنتي عرفانى وشيفانى

النصف الثـانى : - بس أنت مش شايف نفسك ..ومش عارفك .!!

النصف الأول : - أنا أتخلقت كـده !

النصف الثـانى : - كان الأحسن أنك .....

انتهت الورقة .

كيـانٌ ضـخم يجتـاح أعمـاقي .. وبـذعرٍ ..أبصـرتُ بهـا أمـامي ، تقـترب منـى ، تبتسـم ، هتفـتُ صارخًا : "أديكى شوفتينى ... أبعدى بقى ..."

(لا...أريدك... أنت لـى ..)

"لا ..... "

(أنت لى ...)

"لا ....."

(أنت لـــي)

"لاااااااااااا ...."

●●●

هل من الصعب على الإنسان أن يعترف بانتصاره .. خاصـةً إذا كان انتصاره على .... لا شـيء ؟

●●●

لم يكن من الممكن أن نتقابل ..

طلبتُ منه أن يعدل عن فكرته هذه لأني مشغولة .. فرفض .

طلبتُ منه أن ننهى علاقتنا الميئوس منها .. فغضب .

كان يريد أن يراني .

جلست أمام المرآة .. نفثتُ السحب البيضاء الحبيبة .. وعدتُ ألتهم بواقيها في الهواء .

(لا بد من الحيلة ..) كذا قلتُ لنفسي (وأنا حيّه تحب الخداع كعشيقها).

أحضرتُ وريقه .. مزقتُهـا نصفين ..

حين تواجه نفسك .. فأحترس أنت في مشكلة .. وتحتاج للمعونة ..

وحين تخسر المعركة ..

فتذكر ..

أنت حاولت أن تكسبهـا .

ـ (6) ـ

خالـــد ، وعلياء

بين صخبِ الطلبة ، وقهقهات بنات الجامعةِ الرقيعة ، تحت ظلِّ المبنى الضخم الذي يحوي قاعات المحاضرات .

وأمام رذاذ الأمطار الذي يداعب وجوه الفتيان ، شعور الفتيات ، و الأوراقَ بين يداي ، كانت (علياء) تقول ، و نحن ننتظر هدوء الأمطار :

ـ" أنت غريـب يا خالد ..!! "

ـ" غريب .؟! "

دعْ الأمرَ يمر سريعًا ولن تشعر بشيء .. إن هي إلا لحظات تتوقف الأمطار و ....

ـ" أوقاتٌ كثيرة أشعر بأنك لا تنتمي إلى هذا العالم ، كائنٌ جميلٌ ، هبط في حياتي ليخفف عني أوزار نفسي " .

.... بعدها تخرجان من الجامعة .. تستقلان الـ (ميكروباص) معًا .. تترجلان .. وتجتازان معًا الأرض الزلقة .

ـ " علياء .. أنتِ لا ترين الحقيقة ، لا يوجد ملائكة في هذا العالم !! "

ـ " أحقًا .. ومن تكـون ؟ ! "

هنا ستجيء نقطة الافتراق .. ثق أنك ستودعها بابتسامةٍ .. وتتابعها حتى تدخل العطفة القادمة .

ـ" مجرد إنسان .. يخطئ ولا يصيب أبدًا .. "

ـ" أنت تجنني ، لماذا تقلل من شأنك ."

ـ " لأن هذه هي الحقيقة .. أنتِ ترين ميزتي الوحيدة تحت عدسة مكبرة ، فيطغى هذا على باقي عيوبي ، ليس لأني أستمعُ إليك ، وأساعدكِ تقولين هذا "

وعندها.....

ـ" لا يوجد إلا تفسير آخر هو ما أتمناه .. "

ستترك ساقيك للريح ، وتركض كأن شياطين العالم تطاردك ، تقتحم شقتك ، حجرتك .. ستُبدل ثيابك كالمذهول .. وترتمي علي فراشك ، وتعيد الشريط الطويل في خيالِك كطولِ عمرك .. كم مرة سمعت أنك .. غريب ..غريب ..غريب ..غريب ..غريب .. ؟ و تنطلق صرخة مكتومة في أذنك الداخلية .. (لماذا ؟) .

ـ" لا داعي للتفسيرات ، دعي الكون يمشي على سجيته .. لا تحاولي إيقافه ..ولا تحاولي رؤيته جيدًا .. ثقي أن هذا لن يفيد أبدًا .."

وهنـــا ..

تتوقفُ الأمطـــار .

-(7)-

نيسان الحزين

موجُ البحرِ الثائر ..

الزبد المعربد فوق صخور الشاطئ ، وحولهـا ، بينما الريحُ التي حملت أتربة الشوارع ، تصطك داخل المدينة ، وتلطم المارة في غضب .

تنظر إلى السـماء ، متمنيًا سحابتين تصطرعان بأعلى ، لكن الأماني عزيزة ، لا تتحقق غالبًا ! عيناكَ ، كادتا تحترقا من الجو الخانق ، وأنفك المشبع بالأتربة الصفراء ، حوّل حياتك جحيمًا تُعدل (نظّارتك) فوق أنفك ، تلملم أوراقك في الملف ، وتتأكد من روعة صورتك ، فوق الـ (C.V).

تشير إلى الميكروباص ، القادم ، بكفك المفتوح ، و إبهامك الذي يتلوي ، كثعبان حبيس ، يتوقف ، فتتأكد قبل الركوب :

- " أول شارع 45 يا اسطي ؟ ".

يرد وهو يرفع قدمه عن الديبرياج :

- " أركب يا كابتن " .

ويركب الكابتن .

تعدّل (نظّارتك) من جديد ، وتتابع الطريق ،الذي يعوي بدوره مع هذا الجو الثائر ، الشوارع الراكضة ،الهواء الذي يصفعك في غضب ، وأحيانًا يحتضن وجهك في رقةٍ و شوق ، الأتربة الصفراء ، التي تفعم هذا الكون ، و أشياؤك البسيطة ، القادرة علي مرجحة حياتك ، بين الجحيم ، و .... الجحيم !!

هذا هو أنت ؟

أهذا هو أنت حقـًا ؟

- " اللي عايز أول 45 "

كلجررررررر

يُفتح الباب ، وتنزل ..

شركة (ثري بويز جروب) ، للأطفال شركات كذلك

الدرج الواسع الطويل ، وصوت عذب يأتي من مكانٍ ما ،لكنك لا تدركه بالضبط ، تصعد إلي الدور الثالث ، تقدم أوراقك ، إلى هذه الفتاة الناهدة ، المتنهدة ، تملأ طلب الـ (أبليكيشن) ، فتبتسم لك في سحر ، وتقول :

- " هنتصل بيك علي أول شهر خمسة عشان الانترفيو " .

تتساءل بخيبة أمل :

-" أول خمسة ؟ "

تسبل جفنيها ، وهي تومئ لك برأسها ، قبل أن تجلس بطريقة ، تتيح لك رؤية كل أسرارها المذهلة.

تتكاسل ، و أنت تنزل الدرج الرخامي الفاخر ، الشركة السابعة بعد المائة ، التي تقدم لها أوراقك.

تنظر إلى مفكرتك الخاصّة ، لازال أمامك ثلاثة لقاءات أخرى ، لهذا اليوم ، قبل أن ترتمي في فراشك حالمًا بالفرار من هذا العالم.

هه ؟

الصوت المغني غير الواضح الذي تعرفه ، لكنه محفور في هذا الجانب المنسيّ من ذاتك .

فجأة ، يُفتح باب بالدور العلوي ، ليتضح الصوت ، ويّ ، الصوت العبقري لإيمان الطوخي ، ،

دنيا غريبة وبترمينا يا حبيبي علي موجة شوق

بتضمنا و بتلعب بينا يا حبيبي و تاخدنا لفوق

إيمان ! رجاءً ، ليس هذا وقتك إطلاقًا ، لا تدهسي الجروح كلها .

تحاول أن تتجاهل !!

تتجاهل ؟!!!!

تتجاهل من ؟ هذا الإحساس العبقري ؟

أنت واهم يا صغير

ونقابل حلمنا بالأحضان

بعد زمانا ما يفوت بزمان

يا خسارة لما الدنيا تضيع

والحلم يضيـــــع

وياها كمان

والحلم يضيـــــع وياها كمان

وتضيع كل الأماني

رجاءً ، لا تضيعي يا أماني ... رجاءً لا تضيع أيها الزمان ، أريد أن أحياك بطريقتي.

بوابة الشركة الأنيقة ، تصل لها هربًا من جمال القيثارة .

أرصفة الشوارع تستحم في قطرات المياه المنهمرة.

تقف مستسلمًا ، والغناء لازال يطاردك .

ترفع يديك لرذاذ المطر ، تحاول احتضان السحب

وبرغم كل شيء

تحاول الابتسام .

-(8)-

ازدواج

أن تجلس أمام النت تتلاعب أصابعك علي لوحة المفاتيح ..محاولاً أنت تلخص حياتك في كلمات .. مجرد كلمات .. أي كلمات يمكن أن تصف أفراح و احتضارات نفسٍ خلال عمرٍ كامل .؟؟

أنا شخصٌ بائس يصر العالم علي رؤيتي كائنًا بديعًا ..حتى لم أعد أعرف أين الحقيقة ؟؟

أم أن كل ما أراه حولي هو أوجه مختلفة للحقيقة التي لم يرها أحدًا وجهًا لوجه ..؟!!

أنا شخص بائس تعودتُ لبس الأقنعة المزيفة في جميع المحافل .. حتى لم أعد أدري أين وجهي الحقيقي بين كل هذه الوجوه؟؟

أين ذاتي بين كل هذه الذوات التي تحتل جسدي .. وتسيطر علي روحي .؟؟

أفعل الذنب ثم أسارع بالهرب إلي ذاتٍ أخري .. من ذواتي اللعينة ..

نعم .. أنا أعترف أنني أهرب .. وأنني أعتدتُ الهرب و اتخذته ميثاق حياة .. !

في أحلامي دائمًا ما كنتُ أراني أركض في شوارع خالية .. خالية .. لا أحد فيها .. تزخر بالمخابئ والسراديب .. تتحول فيها البيوت إلي مغارات وكهوف .. وأنا أركض .. أركض .. شاعرًا أن ثمة خطرٌ ما يقفو أثري .. وأن النهاية دانية .. ألتفت خلفي في هلع .. وأصرخ مرتاعًا .. وأستيقظ غارقًا في العرق البارد ..

أعود إلي النوم .. فأجدني أهوي من حالق .. وقبل اصطدامي بالأرض ..أنهضُ وقلبي بين قدمي .. لقد أعتدتُ الهرب .. من الأحلام .. من العالم .. من الواقع البغيض الجهم .. لكنني دائمًا ما أضطر إلي العودة إليه .. وعلي شفتيَّ ابتساماتُ النفاق والرياء .. !

أعود برغمي .. بعد أن أكتشف في كل مرة أن الواقع أفضل ألف مرة مما أهرب إليه ..

فمعي لا يمكن أن أهرب إلي الزهور والبساتين وزقزقة العصافير والبلابل الشادية ..

إن منفاي هو أكثر بؤسًا و شقاءً من العالم ذاته .. فأنا أهرب إلي نفسي .. إلي عوالمي الداخلية .. حيث آلاف الأشياء التي تجعلني أصرخ .. وأستغيث .. في ظلمات الطرقات الخالية .. حيث ألف

شيء يطاردني بإصرار الجحيم .. !

ووسط كل هذا أهرب إلي الآخرين .. إلي فتيات الشوارع .. إلي الغواني .. وبائعات الهوى .. هن فقط .. أتعلم معهم كيف أعشق الوجود بين أحضانهم الثرية ..

هن الحلم الجميل .. والواقع البغيض ..

هن النار والجنة معًا ..

معهم يمتزج الجمال بالقبح .. والعني بالفقر .. والحرية بالعبودية .. والخيال بالخبال ..

معهن تغدو شيئًا ما بعد أن كنت شخصًا ما ....و تفقد الخط الفاصل بين الواقع والحلم .. بين الإنسانية والحيوانية ..

بين أيديهم .. أتعلم عشق العدو .. وكراهية الحبيب .. حيث تختلط الأشياء .. وتمتزج .. فلا تعرف من أنت .. ولا لماذا .. ولا سبب قدومك إلي هذا العالم ..

وفي ملهاهم الليلي .. حيث يجتمعن .. ونبدأ في تكثيف تواصلنا الإنساني بشكل عنيف .. نتحول بعدها إلي خرق بالية ملقاة في إهمال .. هناك .....

هناك تعلمت الهرب من ذاتي .. ومن كينونتي ..إلي ذوات الآخرين .. وعوالمهم . إلي الهالات الرائعة التي يرسمونها حولهن كالملائكة .. رغم أنهن شياطين لكنك تهرب من مجرد الاصطدام بهذه الحقيقة والاعتراف بها ..

وحين أعود إلي ذاتي .. إلي واقعي .. وبعد أن أتناسي خطاياي .. وخطايا هذا العالم البائس .. يتردد في ذهني أن هذا أنتهي ..

أنتهي هذا .. أنتهي هذا .. لا مال للندم .. فلندع هذا جانبًا .. فلندعه جانبًا .. دعه جانبًا يا أحمق .. ولسوف ينتهي كل هذا .. انس .. فقط حاول أن تنسي ..

وأكمل حياتي .. كأني ملاكٌ يمشي علي قدمين ..

هكذا تمضي الحياة معي .. بلا هدف .. بلا غاية .. مرد حيوان أخر لا يعرف غير المشاعر الصرفة .. الرغبة . الكراهية .. الغضب ..الألم . الخوف .. الكثير جدًا من الخوف ..

وحين ينتهي هذا .. أعود من جديد ..

هي دوامة لا تنتهي .. دائرة مفزعة أدور فيها بكامل إرادتي الحرة .. ورغم أنفي ولا أعرف كيف .. ؟

ولهذا أنا هنا ..

إذ أكتب تلكم الكلمات ..

إذ أفتح قلبي إليكم كتابًا تقرءون منه كيفما شئتم ..

إذ أعترف أمام نفسي بما أهرب منه طيلة حياتي ..

لا أطل منكم سوي المعونة .. ومد يدها لهذا الشخص البائس ..

فقط أرجوكم .. لا تتحدثوا عني كأني حالة..

أنا لست مجرد حالة أخري تواجهونها.. ..

أنتم تواجهون حياتي ..

حياة إنسان ..

يتعذب ..

-(9)-

الأنفلونزا العصرية .. في الحياة المصرية

الأربعاء 15من فبراير 2006

(كل واحد يخلي بالة من حمامته .. أنفلونزا الطيور دخلت مصر يا جدعان)

هكذا كان الصراخ الدائم في كل أجواء مصر المحروسة .. إذ يدور مندوب الوالي المضحك فوق حماره ، وطبلته العتيقة بين يديه ، وينادي :

" تك تتك تك تك يا أهل مصر المحروسة .. يا صحبة الفراخ الموكوسة .. يا كل بنت وعروسة .. إليكم الخبر اليقين .. عن حالنا الطين .. الأنفلونزا العصرية ..بقت في فراخنا المصرية .. تك تتك .. "

يدور في الشوارع ويلتف حوله الأطفال من كل الحارات ، يدقون مثله ، علي مؤخرة علبة معدنية بعصيهم الطفولية.. ويتابع المندوب ..

" تك تتك تك تك أربع حالات في القاهرة ، تك تتك ، تلات حالات في المنيا ، تتك تك تك ، حالتين في الجيزة ، وما خفي كان أعظم "

في كل حي كان يبلغه الخبر .. ترتدي نساؤه المشمع الواقي .. ويلبسون الكمامات البلاستيكية (ولا تسألني من أين أحضروا هذه الأشياء) وتبدأ مطاردات الشوارع المذهلة .. كنت أشتري الفشار من البائع علي الناصية ، وأقف أتابع هذا السيرك كلما حدث ..

تخيل أن تطارد (إيزيس) فرخة فرعونية ، لتذبحها قبل أن يصيبها الوباء القاتل .

يكمن أن ننقش هذا علي معبدنا الحجري ، الذي سنقسمه حتمًا في احدي فنادق شرم الشيخ ، لنثبت للعالم من جديد أننا تاريخ .. تاريخ سيدرس في الكتب المدرسية لأحفاد أحفادنا ..

●●●

السبت 18 من فبراير 2006

المعلم (فرخة) صاحب محل (فراخ المعلم فرخة) أصيب بصدمة عصبية حادة بعد يوم الأربعاء المدوحس ، حين تم الإعلان عن أول حالات الإصابة بفيروس الأنفلونزا .

بعد خروجه من المستشفي علّق المعلم (بقرة) صاحب محل (عجول المعلم بقرة) لافتة ضخمة تؤكد أن "كيلوا اللحمة بـ 40 جنية ، ومعندناش أنفلوزة " (*)

ذهبت لأشتري منه 4/1 كيلو لحمة كالعادة ، فقال في دهشة :

- " ربع تاني يا بيـة ؟! ، فين أيام ما كنت بتاخذ تلت أربع فرخات ؟ "

ـ " فراخ أية بقي يا معلم ؟ ، ما بلاش السيرة دي ! "

قال ونظرة الحزن في عينيه :

- "إيييييـة !! كانت أيام ، أصل الفراخ دي كانت غيتي .. لولا الظروف بس "

ونظر حوله إلي العجول المجندلة من مؤخراتها في كل مكان ، وقال :

-" بس همَّ دلوقتي بيطعموا العيال من الداء اللعين دة .. "

نظرت له كمن ينظر لمجنون ، وصحتُ :

_ " بيطعموا مين يا عم الحاج أنت ؟؟ "

ـ ضحك ملئ شدقيه ، وقال:

-"لا يا بية ، مش كل الناس بيطعموهم ، أصل الواد ابني يبقي زميل بن البية وكيل الوزارة في المدرسة ، وهمّ بيطعموهم عشان كده ، بيقولوا ان الوزراء وولادهم همَّ أكتر ناس معرضة للمرض ، عشان الفراخ اللي بيلهطوها ، عشان كده بيطعموهم همَّ بس ..

والنبي يا بية ، ازاي أطعم واحد ضد أنفلوزا الطيور وهو عمره ف حياته ما شاف فرخة ؟

ليهم نظريتهم برضة .. عدم المؤاخذة ."

والتفت إلي صبية الذي يدعي بليه بالتأكيد ، وأخذ منه الربع كيلو اليتيم ، وقال :

-" طلبك يا بية ، ربنا يفرجها علينا وعليك .. "

●●●

الأربعاء 21 من فبراير 2006

(*) مع الإعتذار للنجم أحمد بدير

كنت في زيارة لأحد أصدقائي القدامي ، (أيمن عنتـر) ، لا بد أنك تعرفه ، بقامته الفارهه ، وملامحه الصارمه ، وعضلاته البارزة ، حتي ليخيل لك أنك تقف أمام (سبارتاكوس) نفسه .

حتمًا سيعنفني علي تأخري - الزائد عن حده - في زيارته ، ويخبط كتفي بقبضته حتي يكاد يخلعه ، ثم يفتت ضلوعي وهو .....

ما كل هذا الزحام ؟؟؟؟؟

كأنهم يبيعون اللحمة مجانًا ها هنا ، رجال ونساء غجريات يتابعون شيئًا ما ، صامتين كأنهم موتي ، سألت أحد الواقفين بصوت هامس عما يحدث ..

قال في رهبة :

" أمن الدولة "

يا خرابي .. لية .. مين .. هو في إية ... ؟

تابع وعيناه تتسعان في رعب :

" بيقولوا في بؤرة فساد في الحارة !!"

فساد ! .. وأمن دولة كمان ..!! ألطف بينا يارب ..

و....

الواد أيمن .. !

أنهم يجرجرونه من قفاه .. وهم يرتدون القفازات البيضاء والأسلحه علي أكتافهم من الخلف ..

هناك رجال ترتدي ملابس بيضاء كأنهم من الإسكيموا ..

ياليلة كوبيا !! ماذا فعل هذا المجنون ..

رحت أخترق الزحام .. حتي أقتربت منه .. وسط صخب ما يحدث .. سألته صارخًا : -

-" في إية ياض .. ؟ إية اللي حصل .؟ "

يحاول أن يرد لكنه يتلقي الضربات تلو الضربات في كل مكان في جسده ..

هل شاهدت " ليلة سقوط سبارتاكوس " ؟ ، لو لم تفعل فأنت ذا تشاهدها معي الأن ..

صرخت فيه من جديد :

" أنت بقيت من الملتحين يا بن المجنونه ..؟"

يهز رأسه ، ويصرخ ، والدماء تسيل من شفتيه :

- " لأ ..!! "

" بتخطط لأغتيال (شيخ الحارة) ؟؟ "

- " لأ ..!! "

" ضبطوا معاك مخدرات .؟؟ "

- " لأ ..!! "

"بقي عندك إيدز أخيرًا ؟؟ "

- " لأ ..!! "

" أمال في إيه الله يخرب بيتك ؟ "

قال ، وهو يومئ برأسه لأعلي ، ويكاد يلطم وهم يلقونه في (البوكس) الفاخر إياه : -

-" العشة يا مصطفي .. العشة .. عاااااااااااااااااااااا "

عشة .؟؟ ، ونظرتُ لأعلي

يا ولاد البدنجان ؟؟!

لقد أبيد الطابق الأخير من البيت بالكامل .. وصار كأن لم يكم ..

نسيت أن أخبركم بشيء رهيب

إن (أيمن) يهوي تربية الحمام ، ورفض ذبحه بعد حكاية الأنفلونزا مؤكدًا أنها شائعات وأن (الحمام بتاعه نضيف وابن ناس)

يبدو أن سبارتاكس كان يهوي تربية الحمام لكننا حتمًا لا نعرف ، في زمنٍ لم يكن الأعلام بهذه الصورة الفاخرة التي نحياها ، حتمًا ، أنفلونزا الطيور كانت هي السبب ..!

●●●

الأثنين 26 من فبراير 2006

علي غلاف مجلة (ست أبوها) إحدي المجلات الإخبارية الرصينة ، أقرأ العنوان :

" رعـب الـ H5N1 يجتاح البلاد "

أفتحها وأنا أحتسي الشاي علي قهوة (برعي) وأقرأ بعين نصف منتبهة ما كتـب ..

❖❖ في تقرير حكومي خطير محظور نشرة .. ❖❖

❖فساد اللحوم المذبوحة في 639568463 مجزرًا

❖ إصابة الحيوانات المنتجة للألبان بالأنفلونزا

❖ الـ H5N1 ينقل للبشر في 3546 حالة

المزيد من نفس الأخبار المعتادة ، أقلب الصفحات ، وأقرأ :

❖ حمامة تثير الذعر في القاهرة الجديدة ، وتتسبب في هجرة الأهالي من الحي .

❖ انتقال الفيروسات إلي الحيوانات ، وأصابة 97854 حيوانًا .

أقلب الصفحات :

❖ انتحار 623584 شاب كانت كل ثروتهم في العجول المنتجة للألبان .

أنتبه للخبر ، وأقرأ التفاصيل :

- كتب : فلان الفلاني

صرح مصدر مسئول بجهاز أمن المدينة ، بانتحار كل من ... و ... و ... إلخ إثر القبض علي مزارعهم ومصادرة عجولهم لاحتمال إصابتها بالفيروس القاتل ، ويقول (نفس المصدر المسئول) بأنه سيتم دفع تعويض 5 جنيهات عن كل فرخة نافقة و 10 جنيهات عن كل عجل نافق و 15 جنية لأهالي كل متضرر من الوباء .

يؤكد (نفس ذات المصدر المسؤل) أنه في ظرف شهر واحد فقط ستخلو البلاد تمامًا من رعب الـ H5N1 ، حيث سيكون المرض قد قضي تمامًا علي كل الطيور والحيوانات لدينا ، ونخلص بقي

، وربنا يكملها بالستر .

●●●

الأربعاء 28 من فبراير 2006

المعلم (بقرة) صاحب (عجول المعلم بقرة) ، أصيب بصدمة عصبية عنيفة بعد يوم الأثنين المنيل ، حين تم الإعلان عن أول حالات إصابة العجول بالفيروس .

بعد خروجه من المستشفي ، علّق المعلم (قرموط) صاحب محل (سمك المعلم قرموط) لافته عريضة علي مدخل المحل تؤكد أن :

(البلطي بـ 35 جنية ، البوري 50 جنية ، والجمبري مش موجود عشان مش هتقدروا علي سعره يا ولاد الفقرانين)

ذهبت لأشتري منه بساريتين كما هي العادة ، قال في دهشة :

- " بساريتين تاني يا بية ؟ ، فين أيام ما كنت بتاخد 4/1 كيلو لحمة بحاله .؟ "

= " لحمة إية بقي يا معلم ؟ ، ما تفتكرلنا حاجة كويسة ! "

قال ، ونظرة الحزن العتيقة في عينيه :

-" إيييييه !! ، كانت أيام ، حاكم العجول دي كانت غيتي ، لولاش الظروف بس اللي حاكمت !! "

ونظر إلي الأسماك التي تملأ الطاولات حوله في كل مكان ، وقال :

-" لكن الحكومة برضة بتاخد أحتياطها وبتخاف ع الشعب .. ! "

أنتبهت لما يقول ، فسألته بخبث :

= " ليه يا معلم !! ، همَّ عملوا إية مع أبنك اللي هو يبقي زميل بن البية وكيل الوزارة ف المدرسة ؟ "

نظر في دهشة كمن ينظر لمجنون :

-" أسكت !! هو أنت ما دريتشي ؟! "

= " لأ .. إيييـه ؟؟! "

- " مش الواد ابني طلع ف رحلة مع المدرسة بتاعتة لجزر هواك هواك .. !! "

= " ودي تبقي فين يا معلم ؟؟!! "

- " بيقولوا في البحر الإغريقي ، إلا يطلع فين ده يا بيه ؟؟ "

= " ده جنب البحر الديموطيقي يا معلم .. ! "

-" ده اللي هو فين بقـى ؟؟ "

=" جنب الأرجنتين وأنت طالع من مصر علي طول "

- " أهاااااا !! "

= " طب ونظريتهم في كده إية بقي يا معلّم ؟؟ "

-" أقولك يا بيـة ! ، دول ناس ما يقدروش يعيشوا من غـير هبـابير .. عشـان كـده بعـدوهم عـن الهبابير اللي مليانه أمراض دي ..

والنبي يا بيه قولي إزاي أبعـد ناس عن اللحمة وهمَّ عمرهم ما بيشوفوا العجول غـير في تلفزيـون جيرانهم ، عشان همَّ ما عندهمش تلفزيون أصلاً ؟؟

وبرضة الحكومة تشتغل كويس إزاي من غير ما تكون مطمنه علي نفسها وعلي الكتاكيت ولادها .. ؟ ، كمان ولادها لازم لهم كتاكيت زيهم يلعبوا معاهم ، ويبقوا في مكان آمن ، مش كده برضه ولا إية ؟؟

الحكومه واعية برضة يا بيه .. عدم المؤاخذة .. "

ثم التفت إلي صبية الذي هو بلية بالتأكيد ، وأخذ منه اللفة البائسة ، وقال :

- " طلبك يا بية !، ربنا يفرجها علينا، ويريحنا من أشكالكم بقي .. ! "

●●●

الجمعة 4 من مارس

مجلة (ست أبوها) الوقوره ، وقهوة (برعي) من جديد .

أقرأ علي الغلاف :

❖❖ رعب الـ C2KM4 يجتاح البلاد .. ❖❖

أتصفح المجلة لأجد العناوين :

❖ فيروس الـC2KM4 يملأ البحر والترع والمصارف ❖

- كتب : علان الترتاني

أكد مصدر مسئول بوزارة المجاري الحديثة ، عن انتشار فيروس الـ C2KM4 في الترع والمصارف والأنهار ، واحتمال إصابة الأسماك بها ، حيث يسبب لهم ما يسمي ما يسمي بروماتيزم السمك . ويؤكد المصدر المسئول ، أن هذا شيء طبيعي ، تخيل كل هذه الأعداد المهولة من الأسماك ، التي تعيش في المياه منذ أول الزمان ، بكل ما فيها من رطوبة وبروده ، طبيعي يجي لها روماتيزم يعني . هذا غير أحتمال أنتقال العدوي من الطيور النافقة التي كان يجري التخلص منها في الترع والمصارف .

أنحي المجلة جانبًا ، وأشارك سبارتاكوس - الذي تم الإفراج عنه قريبًا - في طبق الفول ، يقول أيمن ، واهن الملامح ، هزيل البنية ، بفم مليء بالفول : -

" أنا مش فاهم الناس دي جري لهات إية ؟؟ حبكت يكلوا فراخ ولحمة وسمك .. من أمتي بيعرفوا الحجات دي ؟

ماله الفول يعني أنا مش فاهم .؟؟

●●●

الجمعة 19 من مارس 2006

(ميدو) الشيطان الصغير ، إبن أخت خطيبتي ، الذي يفزع الجميع ، ويثبت للجميع كل يوم أن الشياطين تحيا حولنا بالفعل ..

أرتعب (ميدو) بشدة ، وبلل سروالة ، وجري إلي أحضان أمه ، عندما شاهد فرخة كارتونية بائسة في برنامجة الأثير (سبيس واان) .

قضي الليل كلة يرتعد ، وأصر علي نقل التلفزيون إلي حجرة أخري غير حجرته : -

تقول (مياده) أمـه :

"دلوقتي عشان يسمع الكلام مش بقوله أمنا الغولة و أبو رجل مسلوخة والحجات اللي بقت بتضحكه ، كفاية أني أقوله حكاية (الفرخة أم ريش) ألاقيه في لحظة بقي زي الملاك "

أنادي علي (ميدو) الذي تحول بقدرة قادر إلي قطة وديعة ، أجلسه علي حجري ، وأسأله : -

" خلصت الواجب بتاعك يا ميدو ؟ "

يومئ برأسه ويتابع :

" آه .. و هتفرج دلوقتي علي (مازنجر) .

قلت بدهشة :

" طب و (سبيس واان) ؟

ارتعد جسده الصغير ، وسالت دموعه في لحظة واختلطت بمخاطه :

" لأ والنبي يا أونكل .. عشـان خاطري .. بلاش الـ ... "

دخلت (مني) فجأة كعاصفة عاتية ، وهي تصرخ :

" شوفتوا اللي حصل ؟؟ "

أيها الوغد الصغير .. ميدو يا أحمق .. ألم تكبر علي هذه الأفعال منذ زمن .؟؟

أنزله وأنا أسأل بذعر :

" إيه اللي حصل تاني ؟ "

قالت وهي تلوح بمجلة (ست أبوها) المبجلة ، وتصرخ في جنون :

" طلعوا لنا عته الخضار !!!! "

" مين يا ختي ؟ "

" خضار أية وبتنجان إية بس ؟؟"

"وده أية ده كمان ؟؟ "

راحت تواصل الصراخ - في المجلة -والزبد يتطاير من شدقيها :

"انتقال العدوي إلي المزروعات

في حادثه فريده من نوعها ، وسابقة أولي في العالم كله ، انتقل فيروس الأنفلونزا إلي المزروعات .. يقول الدكتور (عجلان البقلاني) أن سيادته تنبأ باحتمال حدوث هذا منذ زمن ، حين كان يجري التخلص من الطيور والحيوانات النافقة ، بالدفن في المدافن الآمنة ، وببعض الأراضي الزراعية ، وقد أدي هذا إلي انتقال الفيروس إلي المزروعات وبالتالي إلي الثمار كذلك ..

هذا وقد صرح مصدر مسئول بوزارة (اللي يعيش ياما يشوف) أنه تم حصار المرض في مناطق بعينها ، حيث كان يتم التخلص من ملايين الطيور والحيوانات النافقة ، وقد تم إخلائها تمامًا .. وإجراء الفحوص علي الأهالي .. للتأكد من خلوهم التام من الفيروس الذي صدع نافوخنا و هيشلنا عن قريب .

هذا ويؤكد المصدر المسئول أن الأمن مستتب ، والخضر والفاكهة المتواجدة بالأسواق سليمة معافاة ، يعني أطفحوها بالسم الهاري ، ربنا ياخد أجلكم ويريحنا منكم بقي و ..... "

توقفت (مني) لتنظر حولها ، كانت أختها قد وقعت من طولها ..

و(ميدو) قد قفز من البلكونه ..

وأنا لا زلتُ أصرخ حتى الآن ، بعد أن أطلقت لحيتي وشعري ، وأدور في الشوارع :

" حرام .. حراااااااام .. حرام بقي ..

كفاية .. كفاية بقي ..

كفاية حراااااااااااااااااااااااااااام . ."

-(10)-

جنـــــــون

"" صدقني .. لم أعد أحبها .""

المطر ينهمر في غزاره .....وسواد الليل يغمر الكون كله ونحن نسير في هذا الشارع المظلم بجانب الطريق ..... وقد بدا أن الرعد سيشطر السماء ويهدها على رؤوسنا جميعًا

""من يحب مستحيل أن يكره محبوبته ...""

كانت الأمطار تنهال كسيولٍ جارفه تجتاح ما يسد طريقها .. وقد تلاصق جسدانا وتلاصقنا بجانب الطريق .....نتحاشى المطر الغاضب في لا مبالاة تحت مظلةٍ واهية

""لم أقل أنني كرهتها.. فقط لم أعد أحبها..""

البرق يخطف أبصارنا للحظاتٍ قليله .. ثم يعيده إلينا مرهقًا واهنًا حزينًا..تشبثنا بالمظلة أكثر ..

"" ليس أنت من يقول هذا .. مشاعرك لا تتقلب بهذه السرعة .. أنت تحبها وستظل تحبها ما بقى لك من عمر .. وستظل هي جاهلة كم هذا الحب الفياض.....""

فكرت قليلاً في كلماته .. أصحيح ما زلتُ أحبها ..؟ لقد رأيتها اليوم .. لم أعرها اهتماما كسابق عهدي بها ... فقط ابتسامه رقيقه وهزة رأس خفيفة .. لم أهرول ورائها كما كنت أفعل .. وهى تهرول بدورها هاربة منى .. لقد أخطأت في حق نفسي كثيرا من أجلها ... حتى حين .....

"" أتدرى لماذا ..؟ ""جذبني قوله من شرودي فانتبهت إليه وهو يقول بابتسامه حزينة : -

"" إنها تحب شخصا أخر .....""

توقفت فجأة .. غمرتني مياه الأمطار .. شعرت برعد السماء المخيف .. يعبر عن شئ يسير مما يعتمل في أعماقي

"" تحب...؟ من ...؟ ""

جذبني من ذراعي يحميني من المطر الشديد..وهو يقول : -

"" من يحب لا يشعر إلا بمحبوبه .. وينسى العالم كله أنت أيضا تحبك فتاه .. ولا تريد أن تفكر في هذا لحظه ""

سيارات عديدة تقطع الشارع ذهابًا وإيابًا .. صوت المطر الغزير وصوت السيارات المسرعة ..تجعلني أشعر أنني في حلم و سأفيق منه حالا

"" لا تذكرني بها أرجوك.. وأخبرني من تحب حبيبتي .. ""

"" حسبتك تعلم كل شيء.. .. ""

"" لو علمت أنها تحب ... غيري ما فكرت بها أبدا ""

"" أنا .. ""

"" من...؟ ""

"" أنا من تحبه حبيبتك .....!""

سيارة قريبه عبرت الطريق ..... و.. تش ش ش ش ...غمرت المياه سروالينا ... التفتت إليه مذهولا .. لا أصدق أذني ..

"" أنت .....؟ ! ""

إنني أتألم لذلك أشد الألم ..... ""

وقع المفاجأة أصابني بالبكم .. من أحبها ... تحب صديقي ..!

"" إنني أحب أنا الأخر ....."

"" تحبها ..؟ ! ""

"" لا .. بل أحب من تحبك ....."

كانت أنوار أعمدة الإنارة الواهنة كأشباح آتيه من وراء التاريخ .. تجعل الدنيا تغيم أمام ناظري ... لم أعد قادرا على التحمل .. أو الصمود .. يا لقسوة الحياة .. جلست على الرصيف.. مياه الأمطار احتلت ملابسي تمامًا .. جلس جواري .. كنت أهذى

""هي تحبني ..أنت تحبها .. أنا أحبها ... هي تحبك .. لا..لا.. أنا أحلم .. مستحيل أن يكون هذا واقع .. ""

ارتعشت يداه.. كان الهواء عاصف .. اقتلع المظلة ... من يده .. وألقى بها بعيدا .. فجرت فوقها سيارة مسرعه .. حتى ما بأيدينا .. تبخل به الدنيا علينا

"" بل هو واقع أعترف به كي لا تجن .. افعل مثلى .. لقد تخليت عنهما .. ولم أعد أهتم بأحد في هذا

العالم ... إنه عالم مجنون.. مجنون.. مجنون يا صديقي ... ""

يا إلهي .. هل أبقى على حبها بعد هذا ..؟ إنها لا تحبني .. تحب صديقي..؟! ..يا لها من قاسيه .. أصوات السيارات ..... وأضوائها الجارية معها ...تحوم حول بصري .. تصيبني بذهول الأضواء .... وتظل معي حتى لما أغمض عيني هاربًا من هذا الوجود .. نظرت إليه .. كان شاردًا ...يسبح في نهر آلامه .. نظرة الضياع التي كنت أراها دائمًا في عينيه ... وأراها الآن أصبحتُ أعرف معناها جيدًا ... وأصبح لي مثلها ..... أحلامي تحطمت .. و أمالي تهشمت .. وحبي واقف بعيد وأنا عاجز عن الوصول إليه .... ماذا أريد من بقائي في هذا العالم ...؟

لم أعد أشعر بما أفعله .. قمت من مجلسي .. عبرت الطريق الذاهب ... عبرت الطريق الآيب ... قفزت واقفا فوق كورنيش البحر .. ونظرت إليه في صمت .. ما زالت أمواجه تأتى إلينا..

ماذا تريد ..؟

دائما تأتى ولا تذهب أبدًا و السماء أحمرٌ وجهها .. غاضبة هي .. سعلت في قوه ..... مياه الأمطار تغمر جسدي تمامًا .. وصديقي ينظر لي في حزن يتابعني في يأس .. لم يكن في الطريق مارة تنظر لي في دهشة .. وتقول من هذا المجنون ..؟!

فقط كان هناك سيارات عديدة تعبر أمامي في اتجاهين .. دون أن تعبأ بي .. وكان هناك الرعد يزأر في قوه وتوحش ويوشك أن يهد السماء على رؤوسنا .. والبرق بعده يخطف نور بصري بعد أن خطفت الحياة نور عقلي وسلبتني إياه

وبينما أنا واقف في نفس المكان .. بعد سنوات طويلة تردد في أذني صوته آتيًا من الماضي البعيد وهو يقول في مرارة :

"" إنه عالمٌ مجنون ...مجنون .. مجنون يا صديقي ""

-(11)-

عود

دكانٌ صغيرٌ يرتكن إلى حافة الطريق ، والطريقُ دائمًا يمتلئُ بمياه الأمطار والمجاري ، تعبره سيارات الأجرة ، وتتوقف أحيانًا أمامنا لتُنزل راكبًا ، أو تحمله .

كنتُ أحب الجلوس على الكرسي الخشبيّ الذي وضعتُ له رجْلاً رابعة جوار الباب . وكان أبي منكفئًا على أجهزة التليفزيون يصلحها ، تحت ضوء مصباح النيون الخافت فوق رأسه .

عَلَت رنة الوتر حول الطبق ، فعلى صوت أبى المتضايق ، كنا في أقصى ركن الدكان ، وكنتُ جورا الباب ، أتحاشى صوت الوتر المطاطي ، وأخبئُه في ضجيج الشارع وسياراته .

شددتُ الـ (أستك) وضبطته أكثر جوار أخوته الأربعة حول الطبق الواسع العميق ، وبدأتُ أداعبها برفقٍ لأتأكد أن نغمته كما أريدها .

أتجاذب الأوتار وأتركها بتتابعٍ سريع ، لكن قلبي لا يهتز ، مثلما يهتز حينما أسمع ضربات العود في الإذاعة ، أو رنات موبايلات بعض زبائننا .

لازلتُ عاجزًا عن منع رجفة قلبي كلما سمعتُ رنة الوتر.

تلاحق ضرباته أشعر بها كأنها ضرباتُ قلبي وتلاحق دقاته . كم أتمنى أن أفهم هذا السحر وأحل هذا اللغز !!

كنتُ أتابع عيني أبي المرهقتين وراء التلفاز ، نظر لي فجأة ، فتوقفتُ عن العزف ، توقعتُ أن يقول لي في سخرية واحتقارٍ كلمته الدائمة : (عاملي قانونجي ؟!) ، لكنه نظر إلى وصله كهربية بجواره فقمتُ على الفور ، أعددت الوصلة و أرفقتها بدائرتها و أعطيتها لأبي مع الفولتاميتر ، ليتأكد من عملي قبل أن يواصل بها عمله.

لمحتُ عن يساره الغطاء الداخلي للمبة الشاشة ، مفرغًا كان وملقى ، كان عبارة عن تجويف معدني نصف كرويّ ومفرغ تمامًا ، ولمعت الفكرةُ في رأسي .

نظرتُ لأبي المنهمك في العمل ، ثم تناولتُ غطاء اللمبة ، وخرجتُ به وراء باب الدكان .

أحضرتُ ذراعًا معدنيًا شبه مستطيل ، وبدأت أثبته في طرف الغطاء نصف الكروي ، ببعض

المسامير والصمغ.

تركته وعدتُ مكاني على الكرسي الخشبيّ جوار الباب . بدأتُ أدقق النظر حولي جيدًا ، فحددتُ أماكن بعض الأسلاك المعدنية الرفيعة التي تصلح ، قمتُ وأخذتُ أدور في الدكان بشكل عشوائي والتقطها خفية، وعدتُ سريعًا وراء الباب .

بدأتُ أفرد الأسلاك لتمر بطول القضيب وفراغ الغطاء ، وأثبتها من الطرفين ، مع تغيير طول كل سلك ليعطي نغمة متفاوتة .

في النهاية ، احتضنتُ العود وبدأتُ العزف عليه بمسمار ، لكن صوته كان ثقيلاً متحشرجًا ، واقترن صوته فجأة بصوت أبي الأنفي العميق .

نظرتُ ورائي مذعورًا ، لأجده ينظر لي مذهولا ، صرخ : (بتهبب أية ؟) واختطف عودي الثمين ، وأطلق صوته الأنفي فاقترن هذا باهتزاز فتحتي أنفه بشدة : (أية ده كمان ؟!). فصل الغطاء والقضيب بعنف ، وخلع الأسلاك ، ورمى كل هذا داخل الدكان وأغلقه .

دفعني من كتفي أمامه : (فوت قدامي مانتاش فالح فوت) نظرتُ ورائي للدكان المغلق وسرتُ أمام أبي .

للمرة الأولي - برغم خبطات أبي على كتفي - أشعر بالنشوة ، وفي المرة القادمة حينما أصنع عودي ، أعرف كيف لا أجعل مخلوقًا يصل إلى أسراري .

- (12) -

الساحرة

أطلت تتابعه من فرجةٍ صغيرة بالشرفة . أضواء الشارع الجديدة تجعلها ترى ملامحه أوضح ، فتحتضنها بعينيها أكثر .

ركل الولد الصغير الكرة فمرقت كالسهم بين الطوبتين المتباعدتين ، فاتسعت ابتسامتها وهتفت هامسة لنفسها : (هيييييه) .

يجري الولد منتشيًا رافعًا علامة النصر ، دائرًا حول رفاقه ، تمتد قدم أحدهم لعرقلته لكنها لا تصل إليه .

توضع الكرة في منتصف الشارع ليبدأ اللعب من جديد.

ومن باب الحجرة التي تجلس فيها يظهر وجهٌ غاضب . يراها و يحدجها بنظرة صارمة ، فتتكور حول نفسها ، ومن فرجة الشرفة يزمجر صائحًا : (يا ولد).

يجفل الولد للحظة ، وينظر لأعلى ، ثم يجري ناحية البيت ، ويطير فوق سلالمه ، ليلتقي صفعة وصيحة : (بتنيل أية لحد دلوقتي ؟ اجري نام) .

يخلع حذاءه ، يركض إلى فراشه ، و يغوص داخله ، وتهدأ حركته .

تطارد أذنيه الصغيرتين صيحات الأولاد بالشارع ، وصوت اصطدامات الكرة بالأسفلت والجدران في رقصها المجنون بين الأقدام ، يغمض عينيه ، ويشاهد نفسه لا زال بين رفاقه ، وقد أحرز عشرات الأهداف ، فرفعه رفاقه فوق أعناقهم .

(كان جون جميل قوي يا حبيبي ، برافو عليك !)

أتاه صوتها عبر الغطاء ، فرفع رأسه ليطالع وجهها الجميل ، بهالته النورانية ، التي يراها دائمًا خاصة في الظلام الآن .

تبتسم له ، وترفع الغطاء لتتدثر جواره ، فيغوص بحضنها الواسع الحبيب.

(بس خللي بالك من الولد رامي ، حاول يكعبلك وانت بتجري ماتخليهوش صاحبك !)

يعتدل ليجلس في حضنها ، ويواجهها : (يمكن كان بيهزر).

أصابعه تغرق في شعرها الأسود الجميل وهو يقول :

(شوفتيني وأنا بجري زى حُسام حسن ؟).

(شوفتك يا حبيبي ، تيجي نلعب لعبة ؟).

تتسع عيناه في شغف ، وتتقطع أنفاسه ، وهو يهمس مسحورًا : (إية ؟)

(نتفق على طريقة تجري بيها كل ما تدخل جون ، وأصحابك هما اللي يقلدوك).

وحينما قبلته على جبينه ، واطمئنت على ابتسامته ، كان هو قد أغمض عينيه وهو يجري بتلك الطريقة المبتكرة التي اتفقا عليها ، عبر المروج بين جفنيه.

-(13)-

أوراقٌ بلون الورد

فَتَحتْ الشرفةَ الصغيرة قبل بزوغ النور ، ورنت إلى الشارع الصامت .

كانت بقايا رياح الليل تعوي في الطريق ، وترفع الأتربة والأوراق المرمية فوق سطح الشارع بسنتيمترات قليلة ، لتدور حول نفسها دورات بهلوانية رائعة . واستسلمت هي لمتابعتها بعينين مستمتعتين .

جذبت الستارة الصغيرة جانبًا لتسمح للهواء المنعش أن يدخل حجرتها . وبدأت في تغيير ملابسها .

كانت ترتشف رشفاتٍ بسيطة من قهوتها الصباحية المعتادة ، وتستحلب مذاقها المر باستمتاعٍ أكبر .

ثم جلست على الأريكة الصغيرة ، وتحاشت أن تلمس جسد أختها الصغير التي لا زالت نائمة بحذائها الرفيع المدبب .

رشفت رشفة صغيرة من بقايا كوب الماء الذي بخت به بلوزتها حينما كوتها اليوم بمجرد أن استيقظت . هكذا قال لها مرارًا من قبل أن رشفة الماء بعد فنجان القهوة مفيدة . لم تعرف بعد سبب الإفادة . لكنها تفعلها بروتينية ، ككل تفصيلة صغيرة في حياتها .

قبلت فم أخيها الرضيع ، وعبرت فوق جسد أمها قبل أن تركع لتقبلها وتهمس في أذنها : " أنا ماشية " . فتجيبها بهمهمةٍ واعية ودعاءٍ لها أن يقيها الله شر الطريق . قبل أن تتقلب الناحية الأخرى .

تفتح باب الحجرة ، وتهبط السلمات القليلة إلى الشارع . فترفع الرياح أطراف جيبتها وتلاعبها .

كان ضوء النهار قد بدا طفلا واهنًا لا يقدر على العناية بنفسه . وكانت قد خرجت إلى الشارع الرئيسي ، لتجد صديقتها تنتظرها ، كان معها هذه المرة بعض أوراق فلوسكاب ملونة ، سألتها مبتسمة : إيه الألوان دي كلها .

ضحكت صديقتها في خجلٍ وراحت تعد بإصبعها الصغير أسماء الألوان متصنعة لمحة الارستقراطية التي تبدو دومًا في كلام أم خطيبها : " برجامون ، بستاج ، أونكس ، كاليبسو و روز لونى المفضل " .

ضحكت بشدة من تقليدها الطفوليّ ، و أخبرتها أنها نست لونًا في غاية الأهمية .

قطبت حاجبيها مفكرة ، فقال لها وهي تغمز عينيها : الأحمر .

ابتسمت في خجلٍ وقالت أنها أخبرته بهذا لكنه قال أن الأحمر هو لون ملابسي لأنني أنا الحب .

وأعطاني هذه الكلمات الملونة .

من بعيدٍ أتى الميكروباص فارغًا إلا من سيدةٍ عجوز ، وطفلتين في المرحلة الابتدائية .

ركبت صديقتها ، وقبل أن تركب لاحظت قدومه من بعيد ، كان يخطو خطوته المسرعة ببنطاله الواسع ، لكنها لم تعرف لماذا تأخر هذه المرة . كان ينظر لها ، وكالعادة رأت مستقبلها في عينيه ، وتمنت لو كان أكثر شجاعة ليكلمها . ويخبرها .

ففي عينيه كانت ترى الحب متدفقًا عبر رسائلٍ لا نهائية . مخطوطةٌ في دفاترٍ بلون الورد .

-(14)-

محاولة عبور

الزمان : أواخر شتاء العام **2007** .

المكان : مدينة السويس ، حوض الدرس .

الحدث : محاولة عبور تنذر بالفشل .

رياح الليلِ كانت هائجةً في هذه اللحظة ، حينما ابتسمت ابتسامتها المفتعلة الباهتة التي تغزو عقله ، وتأسر كيانه .

انشغل عن ملاحظة العالم من حوله ، واكتفي بملاحظة عينيها ، وخمارها الطويل ، وأصابعه إذ تتسلل من تحته . ابتسمت حينما وصل إلى مآربه ، فانتزعت يده بعنف ، و زجرته . ثم تركته ومشت .

جرى وراءها ، و استسمحها ، فدلفت إلى الشارع الجانبي الذي تحيطه الأشجار على الجانبين فتخفيه عن العيون . استندت إلى جذع شجرة صغيرة ، و ارتسمت في عينيها لمحة شجن وعشق وهي تقول : هذا هو طريق العاشقين الذي حلمت به دائمًا ، قالت أنها تمنت أن تسير فيه مع حبيبها ، ثم ابتسمت ابتسامة منكسرة وقالت أنها لم تحصل في أي يوم على حبيب .

مسك كفيها واحتضنهما وقال لها كيف تقول هذا وهو معها ، أكد لها أنه حبيبها وسيظل كذلك .

سحبت يدها ببطء ، وسألته إن كان يخدع نفسه أم يخدعها . تنهدت ثم أخبرته أنه في كل الأحوال سيحصل على ما يريد ، ورجته أن يكف عن سرد الأكاذيب على مسمعها .

نظر ناحية مدخل الطريق ، ثم نظر لها . شبك كفيه وسكت . وتساءل : لماذا لا تصدقه ؟ هل هو بالفعل كاذب ؟ ولماذا يكذب ؟

تكرر السؤال عاصفًا في كيانه وهو عائد فوق الطريق الترابي الفاصل بين المدينة والمعسكر تساءل كيف استطاعت أن تخدعه بهذه البساطة . هو كان يعرف ما يريد . فلماذا سعى لشيءٍ آخر؟ هل خدعته بالفعل ؟ هل هناك خدعة ؟ ما الذي يعنيه ما حدث بالضبط ؟

فتح الكشاف الضخم بين يديه . ليستكشف الطريق . كانت الساعة قد تخطت الثالثة بعد منتصف

الليل . كوّر الورقة بين يديه بعنف بعد أن تطلع مرارًا إلى توقيعهما المتجاورين .

وصل إلى قمة الجبل الترابي ، والآن عليه أن يتمطى الحذر ، فلا يظهر من الناحية الأخرى كي لا يراه أحد من المعسكر على الناحية الأخرى.

لكنها رأته ، رأته وهو يحاول مسح الدمعة التي تساقطت خفيه وفي لحظة خاطفة . فسألته عما به ، فضحك .

هي برغم كل ما بها لم تكذب ، ولم تتحايل عليه .

حينما قاما ، وتخطا الطريق الشجري ، حاول مسك يدها من جديد ، فزفرت بعنف وتركته .

أوقف الميكروباص ، وتركه يقودهما إلي المكان المعتاد . أعطى السائق أضعاف الأجرة ، فنظر لهما بقرف ، ورفع صوت الكاسيت ، ومضي إلى بدايات الطريق الصحراوي .

وعلى المقعد الخلفي بدأت رفع ملابسها ، وفك قيود ثمارها الحيوية .

كان السائق يلقي نظرة على المرآة الخلفية ، ونظرة على الطريق الصامت المقفر . أعمدة الإضاءة قد وهنت قوتها .. وقلّت أعدادها . فدار حول الطريق وبدأ رحلة العودة . خفّض صوت الكاسيت ، وقال لهما بالخلف أنه بدأ العودة .

كانا قد انتهيا ، وهي كانت تمسح دموعها في حرقة . سألها عن السبب فقالت لاشيء . وسألته إن أراد شيئًا آخر .

قال لها أنه لا يريد أن يرى دموعها أبدًا . نظرت له بسخرية ، ورجته أن يسكت .

حينما عادا إلى مكانهما الأول ، كانت هي تهم بالرحيل ، لكنه استوقفها . أخبرها أنه لم يفعل ما فعله إلا لأنه أحبها وأرادها .

ضحكت بمرارة . وقالت له شكرًا . أكد لها كلامه ، فثارت في وجهه ، سألته إن كان يريد شيئًا آخر فتعطيه له بدون أجر إضافي .

قالت له أنها يمكنها أن تعطيه ما هو أكثر ، لو كان يريد . صرخت بعنف تسأله عما يريد .

فقال لها باستكانةٍ أنه لا يريد أن يري دموعها ، ولا يريد أن يكون هذا هو حالها . ضحكت من سذاجته .

قالت له أنها خلقت هكذا ، ولا سبيل لردها أبدًا ، إلا أن تجد حبيبها الذي تعرف أنها لن تجده .

قال لها من جديد أنه حبيبها . وأنه بالفعل يحبها . طلبت منه إثباتًا بعد أن ضاقت بكلامه . نظر لها . ثم لمعت الفكرة في رأسه في لحظة ، ولم يفكر مرتين ، أخرج حافظته . وبطاقته .وطلب منها أن تفعل المثل .

الآن زلت قدمه في محاولة الهبوط إلى السفح ، وقع . وتدحرج فوق التل الترابي حتى وصل إلى الأسوار الشائكة ، وطارت منه الورقة رغم أنه قبض كفه عليها بكل استماتة .

-(15)-

كتالوج

جلس على كرسيه وقد أصابه دوار الحيرة من جديد .

بدأ يعبث في دبلته الفضية الجديدة التي لم يعتدها من قبل حول خنصره الأيمن ، وكعادته أسقط كل ما حدث على أقل الأشياء شأنًا ، هذا الكتالوج الأحمق الجديد .. بسببه حدث كل هذا الخطأ .

فكر قليلاً وهو يتصفح الكتالوج : ألم يكن الرجل غريبًا كذلك ؟

منذ اللحظة التي دخل فيها مع ابنته الناهدة المتنهدة ، وهو يشعر بغرابة أطواره .وقف معه يساعده في اختيار الأجهزة الكهربائية التي يحتاجها ، قبل أن يبدأ الرجل حواره الحميمى فجأة ، حكى له أنه يحتاج هذه الأجهزة في زيجته الثانية التي لا تعرف بها ابنته .

أخبره عن أعماله المتعددة في الإمارات ، وسفره الكثير لكل بقاع العالم ، وأنه يحتاج إلى رجل حقيقي يستطيع أن يعتمد عليه في العمل ، بل ويزوجه ابنته كذلك ، لكن للأسف ليس هذا هو زمن الرجال الحقيقيين ، لذا لا تتوقع أن تقابل أيًا منهم أبدًا ، ثم قهقه ضاحكًا بصوتٍ لفت انتباه باقي زوار المعرض .

أما هو فقد كان يمسك الكتالوج الجديد في يده اليمنى ، يحاول أن يعرض على عميله غريب الأطوار هذا أشكال المنتجات التي لديه ، ويستمع برغمه إلى قصة حياة الرجل وفلسفته مجبرًا .

لو لم يستمع لصار مُقصرًا في عمله ، إن رجل المبيعات الناجح هو الذي يصير صديق العميل ، هذا هو الدرس الأول الذي تعلمه في عالم المبيعات الجديد. لكن رأيه أن هذا كان يحدث بالخارج ، وأننا لم نصل بعد لمستوى الحياة العامة التي تسمح لنا بتقديم هذه الرفاهية للمشتري .

حينما يخرج من عمله في هذا المول التجاري الضخم ، ويعود لبيته ، يشعر بضخامة الفارق في أسلوب الحياة . كأنه انتقل عبر الزمن إلى عصور سحيقة ، أو انتقل إلى عصور لم تأتِ بعد ، يعد نفسه لاستقبالها كلما ارتدى ملابسه صباحًا وتوجه للعمل .

كانت الفتاة تقف ناحية أجهزة الاستحمام ، فوكزه الرجل في كتفه وغمز له ، وأخبره أن يكون جنتلمان ، ويساعد البنت في أي شيء تطلبه .

كرر ابتسامته العملية التقليدية ، ولم يلحظ ضغط الرجل على كلمات (أي شيء تطلبه) بابتسامه

متآمرة . وبنفس ابتسامته التي انطبعت على شفتيه قدم نفسه للفتاة ، فابتسمت لـه بخبث ، دارت حول المكان ، وفي دورتها تركت تضاريسها المرتفعة تحتك به . ذكرته لمساتها المتأنية بالقطن الناعم الهايش الذي كان يغطس فيه حينما كانوا يجمعونه في القرية وهو طفلٌ صغير .

ودّ - في أعماقه - لو يغطس في زكيبة القطن الناعم المتحركة هذه فلا يخرج أبدًا ، وهي كانت تسمح له للحظة خاطفة أن يكتمل حلمه ، قبل أن تبتعد مجددًا. حاول أن يتمالك نفسه وهو يرد على أسئلتها الساذجة التي تلقيها بصوتٍ كحوريات الإلياذة.

اعتلى صهوة الأمواج في داخله ، وحاول حجب الطوفان العاتي أن يغرق روحه فلا ينجو أبدًا.

تدور الفتاة ، ويدور حولها ، وحولهما تدور خيالاتٌ هائمة تسبحُ في العدم .

ومن بعيد وقف الأبُ يتابع كل هذا ، وهو يتكلم مع مدير المعرض .

شعر بنظراته المتلصصة لهما ، وشعر أن شيئًا ما ليس طبيعيًا ، فترك الفتاة ، وذهب للأبُ وقد التقط أحد أسئلته للمدير فوقف يجيب عليها .

انسحب مدير المعرض بهدوء ليواصل عمله ، فتأفف الأب وأخبره بخبث أنه لا يوجد سوى المجانين من يتركون الفتيات القادمات من القمر وحيدات . وأشار لابنته.

ووكزه من جديد ليترك رسمية العمل ويتعرف عليها بشكل شخصي . هنا بدأ تفكير الفتى يأخذ منحنىً آخر ، الفتيات القادمات من القمر لا يقدمهن آبائهن لكل من أتيح من البشر ، بل يحتفظون بهن حتى يأتي لهنّ أبناء الشمس . و هو كان يكره الشمس بعنف ، يكره ما تصنعه من حر وعرق وضوءٍ عاتٍ يخطف البصر ، كان يعشق الظلام والسكون والدفء .

ذهب مجبرًا إليها ، فلفحه صقيعها ، فارتعش .أخبرته أنها تحلُم باليوم الذي تختار فيه أجهزتها لبيتها مع حبيبها ، ويتفننا معًا في تنظيمها ، بدلاً من أن تختار أجهزة عروس والدها الذي يظنها حمقاء لا تعلم.

هي تفعل هذا لأنها تحبه ، أخبرته أن المرأة إذا أحبت فهي تفعل أي شيءٍ من أجل هذا الحب.

لا توجد حدود يمكن أن تحجب فيضانات الأنثى ، لقد خبر هذا قديمًا مع نوال ، زوجة عمه اللعوب . سألته إذا كان يعرف هذا ؟ فلاح في عينيه أشباحٌ من ماضٍ لم تزل آثاره باقية في سريرته .

قالت أنها تستغرب أن تقول له هذا الكلام ، هي لا تفعل هذا إلا مع شخص تثق فيه ، أو تميل

نحوه . حتى هذا أخبرته به نوال قديمًا ، قالت أنها تميل نحوه ، وتريد أن تكون أول أنثى تتذوقه.
قالت له وهي تتوقف وتعود أدراجها إلى والدها ، أن الغريق يبحث عن أي قشة ليتشبث بها من مصيره ، وهي تشعر أنها وجدت قارب نجاة.
بالرغم من هذا فقد ظل محتفظًا بالكتالوج في يده اليمنى الذي دارى دبلته الجديدة عن الأعين ، غريب أنهما لم يلحظاها حتى الآن ، لقد هنأه كل زملائه ، وأقاموا له احتفالاً صغيرًا.
أعطاه أبوها بطاقته وعليها عناوينه ، وأخبره أنه يستطيع أن يجد له عملاً أفضل إذا هو زاره . هو يبحث عن رجل حقيقي يساعده ، إن السفر للإمارات مع زوجة جميلة مثل ابنته فرصة لا يحصل عليها غير المحظوظين فقط.
هكذا صار الكلام مباحًا واضحًا علنيًا . ولم يعد في إمكانه أن يترك الكتالوج من يده ، حتى حينما تركه مجبرًا حاول إخفاء دبلته في قبضته المضمومة وهو يكتب للرجل فاتورة الشراء .
لكنه رآها ، رآها وهو ينهي لقاءه ويصافحه فاكفهر وجهه ، هو حاول أن يُخرج ابتسامةً من بين توتره وهو يخبره أنها مجرد دبلة ليطرد بها المعجبات ليس أكثر ، حتى يحصل على أفضل فرصة ، وقد جاءت ، واتسعت ابتسامته لينتشل عميله من الغضب ، ووظيفته من الضياع . فعادت ابتسامة الرجل المستغيثة وهو يخبره أن هذا أفضل بالتأكيد .
وحينما جلس على كرسيه كان يصب كل غضبه على الكتالوج اللعين الجديد ، لو لم يأتوا به .. لو لم يمسكه في يده .. لما حدث كل هذا الخطأ .
فكر قليلاً .. ما الذي يدعو رجل أن يقدم ابنته بهذا الشكل ؟ حتى الغواني تدفع أنت لهن ، لا تأخذهن محملين بالذهب .
حاول أن يهدأ قليلاً ، ووسط دوار الحيرة الذي عصف برأسه ، قطّع بطاقة الرجل وألقاها في سلة المهملات بجانبه.

تمت بحمد الله

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لصالح (دار رواية للنشر الالكتروني) وأي إعادة نشر إلكترونية دون وجه حق تعرض صاحبها للمساءلة .. موقع الدار على الشبكة العنكبوتية (http://rewaya.tk)